

الشاعر أحمد الصافي النجفي

الدكتور

عبد الرزاق محيي الدين

الكلمة التي القاها الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس
المجمع العلمي العراقي في الاحتفال الذي اقامته وزارة الاعلام
في ١٢-٢-٧٨ بمناسبة ذكره

حين نحتفي بذكرى الشاعر أحمد الصافي نحتفي بالعربية أمة محررة شاعرة، وحين
نسبها للنجف نسبها للنجف مدينة مقدسة طاهرة، وحين نصله بالشعراء من معاصريه نصله
بالنخبة العزيزة النادرة، انه شاعر والشعراء المجيدون في العربية كثيرون، ولكنه من
القلة المتميزة بين الكثيرين. تميزاً جعله أمة مستقلة: تعيا بروح بدع، ومزاج فريد.
انه قومي والقوميون كثيرون، ولكن قوميته قومية معدن. لا يحتاج لأن يكونها الى تصيير
وتعدين، ولا الى أن نتبينها الى اشهاد وتوثيق. بدايتها خاتمة، واستمرارها استمرار وجوده:
صبياً في المهمل، طفلاً في الكتّاب، غنى في المدي، جندياً في ثورة العشرين، يهرب
فتهرب معه لاجئاً سياسياً الى فارس. فلا يخفي قوميته هرب، ولا يخيفها لجوء، وتظل
مائلة (على الغربية) عربية الوجه واليد واللسان، شيداً بشمائل أمته. وبروحها السمحة
في قصائد ومقطعات ماثورات حسان.

أيها السادة الاعلام

اسمحوا لي في موقفي هذا أن أجتري، بانطباعات شخصية عن شعر الرجل، ومزايا
شعره، اذ الحديث عما قيل فيه، وما يمكن أن يقال فيه أمر يطول، ولا يصح في

حفل تأبين عرضه واستعراضه . قلت انطباعات شخصية لأنها وليدة فهم شخصي ، وممارسة ذاتية ، لي غنم صوابها ان كانت صوابا ، وعليّ جرم خطئها ان كانت خطئا .

يجي الشاعر أحمد الصافي ... من حيث زمنه -- في الرعيل الثاني من شعراء العراق المحدثين لهذا القرن ، حيث تقدمته كوكبة سابقة كانت الرعيل الأول وهم ، الرصافي والشبيبي والزهاوي وعلي الشرقي . من أبرز أفراد الرعيل الثاني الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، فأحمد الصافي ، فحافظ جميل ، فأحد من الشعراء العراقيين لمع نجمهم بعد ثورة العشرين .

هؤلاء في تقديري يمثلون الحلقة الأخيرة في سلسلة الشعراء المخضرمين ، الذين تخلقت في شعرهم أثارة من عهود سابقة ، تتمثل في الأسلوب ، وفي بعض الأغراض ، الى سمة من جدة جعلت شعرهم يختلف عن سابقهم في الأسلوب وفي الأغراض .

مع التقاء تلك الكوكبة على صعيد المخضرمية بين عهدين ، واحتفاظهم بأثارة من عهود سابقة ، ومشاركة الصافي لهم في جانب واسع من صنيعهم ، فإن للصافي سمات متميزة تفردت عنهم وعن سابقهم ، بل تفردت عن لاحقهم أيضا ممن خلصوا الى الشعر الجديد الجديد .

من تلك السمات :

١ : الخلوص من المناسبات ، اذ ان شعره كاد يخلص من الاستجابة للمناسبات الحادثة : حدثا فرديا ، مناسبة اجتماعية ، أي مؤثر خارجي يكون وسيطا بين الشاعر وقول الشعر . ان حاله مع المناسبة شبيه بحال السيدة المتصوفة (رابعة العدوية) وقد سألت : أترمين محمدا ؟ يريدون الرسول الكريم . فأجابته شغاني حبّ الله عن حبّه . لعلّ الصافي شغل بالشعر عن المناسبات التي تدعو اليه .

٢ : الاتسام بجدة المعاني وابتداع الاخيلة ؛ بحيث تستطيع أن تزعم -- بلا كبير تخرج انه لا تخلو قصيدة أو مقطوعة في بيت أو أبيات من معنى لم يسبق له ، أو من معنى اهتمنى اليه بتوليد لم يسبق اليه . مثل هذا الزعم (وبكثير من الترخص) لا

تستطيع أن تذهب إليه في أي قصيدة أو مقطوعة لشاعر غيره في القديم والحديث ،
فأخذ شاعر عن شاعر وحديث من قديم منذ متابعة يستن بها جملة الشعراء .

٣ : من مميزات شعره أن معناه يكاد يستقل عن عبارته . بحيث لا تشهد بها ذلك
الاتحام البنيوي بين معناه وعبارته ، ولا تلك اللزومية التي لا تعرض بها لفظة
عن لفظة ، وتركيب عن تركيب ، وهي خاصية يتندر أن تجدها في الأساليب
الأدبية العربية وفي الشعر بخاصة .

فالشعر عامة والعربي منه بخاصة تقوم الفنية فيه : ويقع موطن العجب منه
في التلاحم المتكافل بين الألفاظ والمعاني . بحيث لو فككت اجزائه غابت
الفنيسية والاشئ موطن العجب : وليس الأمر كذلك في شعر احمد الصافي .
ان الصلة بين شعره ومعناه صلة دلالة وليست صلة كناية ، لذلك صلح شعره
للمترجمة لأنه يجد الدلالة في أي لغة ، ولا يحتاج الكناية وقد استغنى عنها في لغته
هذا الذي قلناه في شعره لا يقال في جملة الشعر العربي إلا فيما ندر ،
لأن بناء الشعر العربي من مؤديات معناه ومن أسباب فنيته .

٤ : وما يحمد لشاعرنا الصافي — وهو من دعاة التجديد في الشعر — انه وقف في وجه
أي تجديد يؤدي الى الانحراف بالشعر العربي من أصالته وعموديته . ولم يخدع
بالمهبة التي خدع بها كثيرون — ولم يرهبه الارجاف والتهويل بان دولة الشعر
العمودي قد انيلت : وحل محلها دولة للشعر بلا عمد وأوتاد .

أيها السادة الأعلام :

تلك انطباعات (وان كانت شخصية) يصلح كل منها أن يكون مادة بحث : وفصلا
من كتاب : ومدخلا الى شعر الرجل ومقوماته وخصائصه ومميزاته . أضيف ذلك انه
كان دينا بالله ورسوله وكتبه وباليوم الآخر مؤمناً بالاسلام : شريعة جده ووديعة آله ،
عربيا لم تنقله حجة : قوميا لم تساوره ردة . عراقيا لم ينسه العراق طويل هجرة ومديد

فرقة ، غنيا عن الناس : كريما عليهم ، حبيباً لهم ، متصلاً بجد شؤونهم متجاهياً عن
فضول عيشتهم . يتسقط أخبار العراق فيفرح لفرح أهله ، ويحزن لحزنهم .

عاش الوحدة في قبيل من عزته وكبريائه . والعزلة في مجتمع أنيس من رفاق تأملاته ،
والعزوبة في زيجة (لا بينونة معها) بالنعاني الحسان من مثاليه ومقطعاته .

مات موفور العرض ، حميد الذكر من أبناء أمته ، معزز الجانب مكرمه من قيادة
شعبه ، وسلطات حكمه : مؤمناً على بقاء أبدي برصيد عال من دواوينه المخالعات ،
وأبياته السائرات .

عبد الرزاق محيي الدين

بحوث اعضاء المجمع العلمي العراقي
التي اقيمت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي
المنعقد في بغداد بين ٤ و ٧ آذار ١٩٧٨